المحاضرة الثالثة

التنافس الأوربي في موريتانيا خلال العصر الحديث

نحاول في هذه المحاضرة أن نسلط الضوء عن الجذور الأولى لبدايات الاهتمام الأوربي باكتشاف القارة الإفريقية ضمن سياق انشغال الدول الايبيرية بهذا الموضوع في إطار الكشوفات الجغرافية للعالم الجديد عام 1492م والذي تزامن مع سقوط أخر معاقل المسلمين ببلاد الأندلس (مملكة غرناطة) وما تبعها من مطاردة الأسبان للمسلمين – حركة الاسترداد – في سواحل بلاد المغرب العربي ،والمهمة نفسها نفذتها البرتغال في سواحل المغرب الأقصى و امتدت فيما بعد الى ساحل وادي الذهب (سواحل الصحراء الغربية) وبلاد البيضان (موريتانيا) لتشمل بعد ذلك السواحل الإفريقية الأخرى.

لقد بدأ التأسيس الفعلي للاستعمار بمعناه الحديث ، عندما بزغت فكرة بناء قوة عظمى وتكوين إمبراطورية مترامية الأطراف وتبلورت عبر السلوك سياسيا وعسكريا انطلاقا من مقولة الحق المكتسب في حكم مناطق معينة من العالم [1] ،وبرز منطق الهيمنة عند البرتغاليين وتعزز مع صعود قوة اسبانيا المتاخمة للبرتغال على اثر سقوط مملكة غرناطة العربية وما أيقظته استعادة عاصمتها هذه عام 1492م على يد ملوك الكاثوليك من عصبية صليبية أدت إلى أن يتحول حول فرديناند الكاثوليكي أصحاب البنوك الايطالية في البندقية وجنوى واليهود من أجل تمويل حملات الغزو و الاكتشاف[2] ،ومنعا لتقاتل القوتين الناشئتين قسم البابا العالم المرشح للاستعمار بين البرتغال واسبانيا أثر إشرافه على معاهدة تور دي سيلاس Tordesillas 7 جوان 1494م، ومن هذه المعاهدة ترسخت حقوق البرتغال في اكتشاف أفريقيا من جهة والخط البحري الى الهند من جهة أخرى ،وبارك البابا اسكندر الثالث هذه الاتفاقية التي وضعت حدا لصراع بين الطرفين.[3]

تُعدّ البرتغال أول دولةٍ استعمارية وصلت بعثاتها الاستكشافية إلى شواطئ إفريقيا الغربية، فاتحةً بذلك صفحة الاستعمار الحديث في إفريقيا،فمنذ القرن الرابع عشر ميلادي كان البرتغال يعرف أزمة نقدية خانقة نتيجة ارتفاع التضخم والحاجة الى الذهب من أجل المحافظة على قيمة العملة المحلية ولهذا السبب جاء الاحتلال البرتغالي لمدينة سبتة المغربية ومن بعدها التطلع للسواحل الإفريقية بحثا عن الذهب [4].

---

[1] - فوزية جيب ، تاريخ النفوذ البرتغالي في البحرين (1521- 1602)،الطبعة الاولى،المؤسسة العربية للدراسات والنشر ،بيروت ،دار الفارس للنشر والتوزيع ، البحرين ،2003،ص 37.

[2] - نفسه ، ص 37-38.

[3] - نفسه ،ص،38-39.

[4] - أحمد عباد ،المستكشفون الأوربيون في غرب إفريقيا ، رسالة ماجستير ،نوقشت بقسم التاريخ ،كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية،جامعة أدرار،2011/2010،ص 42.

ضمن هذا السياق التاريخي حاول المؤرخ الموريتاني حماه الله ولد السالم أن يفسر دوافع الحملات البرتغالية الأولى على الساحل الموريتاني حيث ذكر أن خروج أوربا من مشكل الذهب وسيطرتها على تقنيات الملاحة في أعالي البحار بعد عدة اخفقات إلى حدوث طفرة في الكشوفات الجغرافية ، كان له أثره على المسالك التجارية التي بدأت تخرج نهائيا من المتوسط .

وقد أسس البرتغاليون امتداد لتلك الكشوفات مركز **أركين**[5] **Arguin** على الشواطئ الموريتانية وفق سياسة لتأسيس محطات سفن الكارافيلا[6] ووكالات تجار لشبونة على طول السواحل الإفريقية [7]، و يضيف حماه الله أن البرتغال أكتفت بالتمركز على الشواطئ والحصول على موارد هي بحاجة إليها مثل الصمغ والرقيق والذهب وغيره [8] .

وحسب الباحث الموريتاني أحمد ولد المصطف مترجم كتاب "اكتشاف و غزو غينيا " الذي وضعه المؤرخ البرتغالي **غوميس إيانيس أزرارا** سنة 1453 ميلادي (Gomes Eanes de Zurara) [9] ، فجزيرة أرغين كان يطلق عليها البيضان غير/Ghir وحولها المؤرخ البرتغالي غوميز ايناس دي ازرارا إلى جته / Gete وباروس الى Arget يقول دي شانترن : كان اكتشاف هذا الموقع من قبل البرتغاليين ذا أهمية كبيرة ،فهذا الاكتشاف سهل الحصول على معلومات وإقامة علاقات مع الدول الزنجية الواقعة على ضفاف نهر السنغال وغامبيا[10]، ولكن بالمقابل الحقوا بالسكان الموريتانين الكثير من المآسي والأحزان فحسب ازرارا دائما،أنه قد تم ما بين سنة 1441 و سنة 1448م أسر و سبي ما يزيد على

---

[5] - حوض أركين ، يطلق عليه البعض «جنة المنكب البرزخي» ويصنفه العلماء والباحثون كواحدة من أندر وأهم المحميات الطبيعية في العالم، فضلا عن كونه يشكل أكبر تجمع عالمي للطيور، ويتألف الأرخبيل من 102 من الجزر الصغيرة التي تأوي إليها ملايين أنواع الطيور النادرة في رحلاتها الموسمية من مختلف أرجاء العالم، فضلا عن آلاف أنواع الأسماك وحيوانات البحر النادرة، التي تختار تلك الجزر وشواطئها موطنا مناسبا للتزاوج والتكاثر، ويمتد هذا الأرخبيل على مساحة 200كلم مربع، بين جزيرتي» تيميرسين، و»رأس الكلب «على الشواطئ الممتدة بين مدينتي نواكشوط ونواذيبو على الساحل الموريتاني، وإليه يتوافد طيلة فصول السنة مئات السياح وعشرات الباحثين والعلماء. وأدرج حوض أركين في قائمة اليونسكو لمواقع التراث العالمي في الدول العربية في عام1989 ينظر : https://www.marefa.org/ وانظر مخطط قلعة ارجيوم على الرابط التالي : https://www.raremaps.com/gallery/detail/18723

[6] - الكارفيل La Caravelle هي مزيج من تقنيات بناء السفن المتوسطية وتلك القادمة من بحر الشمال رغم وجود اختلاف حول المنطقة التي نشأ فيها حيث يقول البعض أنها جاءت من البندقية ويقول البعض الأخر أنها ظهرت أول مرة في البرتغال ،والأكيد هو أن البرتغاليين طورها واستغلوها في تحقيق اكتشافاتهم المميزة ،وبفضل جهود الأمير هنري الملاح قام البرتغاليون من زيادة سعتها حتى أصبحت قادرة على حمل 200 طن من التجهيزات للمزيد انظر: أحمد عباد ،المرجع السابق،ص 43.

[7] - حماه الله ولد السالم ، جمهورية الرمال – حول أزمة الدولة الوطنية في موريتانيا ، دار الكتب العلمية ،2014،ص 26-27.
للمزيد من المعلومات حول الغزو البرتغالي للسواحل الافريقية انظر: اللجنة العلمية الدولية لتحرير تاريخ إفريقيا العام (اليونسكو) ، تاريخ إفريقيا العام، المجلد الرابع ، (من القرن الثاني عشر ميلادي الى القرن السادس عشر)، المشرف على المجلد ،ج ،ت ، نياني ،اليونسكو ، باريس 1988، 768ص. الكتاب متاح على الرابط :
https://archive.org/details/fethibriredj_live_20170418_1036

[8] - نفسه ،ص 27.

[9] - غوميس أيانيس دي أزورارا ،تاريخ اكتشاف وغزو غينيا ،(تاريخ الغارات البرتغالية على سواحل غرب افريقيا وبشكل خاص على سكان الساحل موريتانيا من 1441 – 1448 م، ترجمة د.احمد ولد المصطف ، مكتبة القرنين 21/15 للنشر والتوزيع. دون مكان نشر ، دون سنة نشر. يمكن تحميل الكتاب من الموقع التالي: https://pdf-books.org/

[10] -نفسه ،ص 87. (ينظر تعليق المترجم).

600 شخص بين الرجال و النساء و الأطفال من ساكنة السواحل الموريتانية إضافة إلى مئات القتلى و الجرحى[11].

في النصف الأول من القرن الخامس عشر ميلادي وصل البرتغاليون إلى شواطئ موريتانيا حيث حل جوزي فراندیز joas feranandez بمنطقة ودان الواقعة شرقي ادرار ، وفي عام 1448م أسس البرتغاليون حصن ارجيوم وهو مقابل للرأس الأبيض ومنه توغلوا نحو المناطق الداخلية فتقدموا صوب السودان الغربي بهدف الوصول إلى تمبكتو التي اشتهرت بمناجم الذهب، وقد أغرتهم تجارة الصمغ والذهب والرقيق فأسسوا مراكز تجاريه لهم وبقوا في موريتانيا قرابة القرنين[12]،الملاحظ أن البرتغاليون سرعان ما انصرفوا إلى ممارسة تجارة الرقيق وأصبحت ارجيوم المركز الرئيسي لتجميع العبيد ،ومنه ينقلون عبر الأطلسي إلى أوربا والى مزارع الاوربين بالعالم الجديد، غير أن الأمر لم يستقر للبرتغاليين في المنطقة وجاء بعدهم الأسبان[13] ، الذين ضموا ممتلكات البرتغال عام 1580م واستمر الأسبان في المنطقة حوالي 70 عاما [14]

في القرن السابع عشر ميلادي ازداد التنافس بين الدول الأوربية حول الساحل الموريتاني وظهرت هولندا خلال هذه الفترة كدولة بحرية وتمكنت من السيطرة على المحطات والمراكز التي كانت بحوزة البرتغاليين وهكذا سيطروا على ميناء اركين في سنة 1638م وأيضا على ميناء بورتنديك Portendick ،نافس البرتغاليون في التجارة الموريتانية كل من فرنسا وبريطانيا وهولندا إلا أن هذه الأخيرة انسحبت من حلبة الصراع اثر توقيع معاهدة لاهاي 13 يناير1727م والتي أقرت تنازل هولندا على جزيرة أركين والاعتراف لفرنسا بالسيادة على السواحل الموريتانية مقابل ليس فقط تنازل الفرنسيون عن المطالبة بتعويضات على الأضرار التي لحقت بهم جراء نزاعهم مع هولندا بل دفعهم للأخيرة تعويضات عن ذلك النزاع[15] .

الأكيد أن الذي جلب أنظار الدول الأوربية المتنافسة على الساحل الموريتاني هو الصمغ العربي لذلك كانت كل شركة تحاول أن تحتكر هذه التجارة لنفسها ، وتنشئ محطات ومراكز تجارية على طول نهر السنغال في سبيل تحقيق هذا الهدف ،واستمرت هذه المنافسة بين التجار الاوربين ولم تحل مشكلة السيطرة إلا عام 1231هـ/1815 م عندما أعطيت فرنسا منطقة السنغال بموجب المعاهدة التي عقدت بين دول أوربا في أعقاب الحروب النابليونية[16]

---

[11] - نفس المصدر ، يمكن تتبع هذه الأرقام بداية من الصفحة 83 والى غاية الصفحة 130.

[12] - محمد فاضل علي باري وسعيد إبراهيم كريديه،المسلمون في غرب افريقيا ،تاريخ وحضارة،دار الكتب العلمية،2007،ص 290.

الكتاب متاح على الرابط : https://dawa.center/files/5979c80c9533f.pdf

[13] - إسماعيل أحمد ياغي ، تاريخ العالم العربي المعاصر،العبيكان للنشر،2011،ص 449.

[14] - شوقي الجمل ، تاريخ كشف افريقيا واستعمارها ،القاهرة ،1971،ص 154.

[15] - محمد فاضل علي باري وسعيد ابراهيم كريديه،المرجع السابق ،ص 290.

[16] - إسماعيل أحمد ياغي ، المرجع السابق ،ص 450.

ملاحق الصور

الصورة رقم 01 : خريطة توضح الكشوفات الجغرافية ينظر الرابط:

https://almerja.com/azaat/indexv.php?id=7060

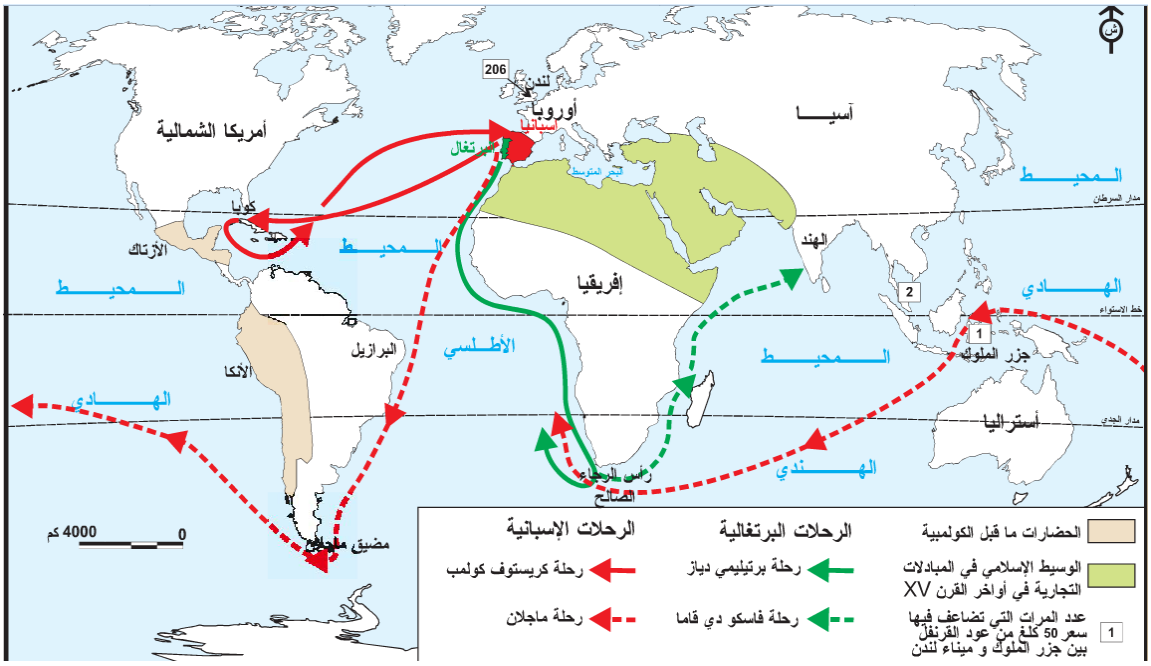

الصورة 02 : خريطة توضح مسار الكشوفات البرتغالية والاسبانية لغرب افريقيا

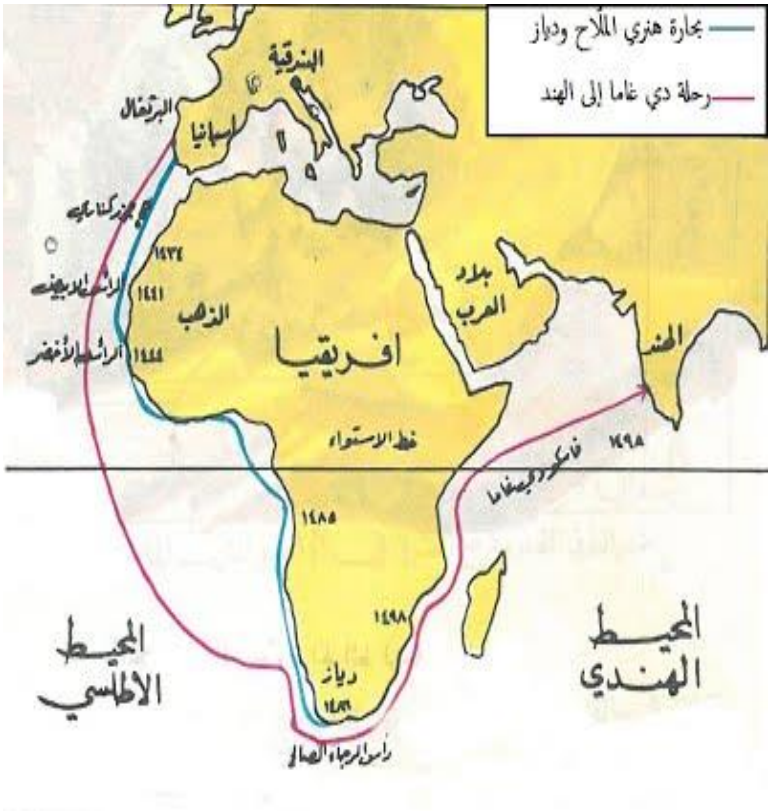

الصورة رقم 03 : خريطة توضح موقع اركين

CARTE DU PARC NATIONAL DU BANC D'ARGUIN

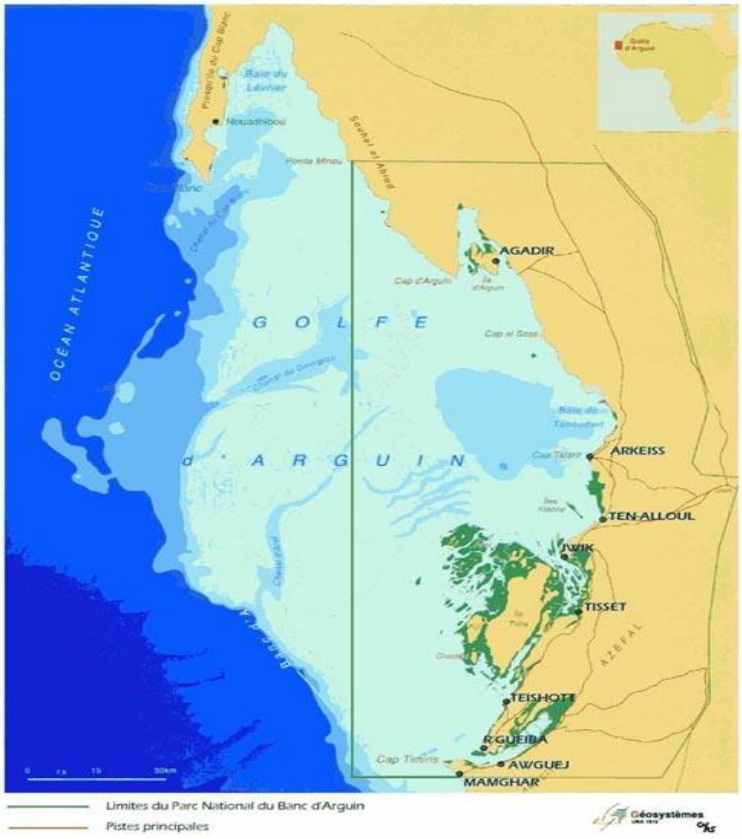

الصورة رقم 04: مخطط قديم لقلعة ارجيوم: https://www.raremaps.com/gallery/detail/18723

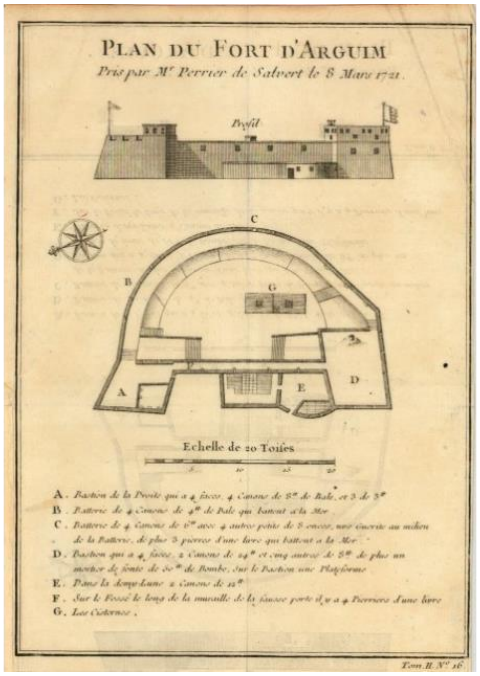

الصورة رقم 05: خريطة قديمة لموريتانيا وساحلها انظر الرابط:

https://www.raremaps.com/gallery/detail/59646/mauritania-nova-tabula-gastaldi: